المبحث الرابع: طرق اكتساب الحكمة

تمهيد:

الحكمة هبة وفضل من الله ﷻ يهبها لمن يشاء من عباده وأوليائه، والحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء له طرق تحصيلها، فالعبد لا يكون حكيماً إلا إذا سلك طرق تحصيل الحكمة، ولا يمكن أن يحصل على الحكمة إلا إذا كانت طرقها مستقاة من الكتاب والسنة، وإذا وفق الداعية المسلم لطرق الحكمة فلا يخرجها ذلك عن كونها هبة من الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[1]، بل الله الذي وفقه وسدده، وأعطاه خيراً كثيراً، جليلاً قدره، عظيماً نفعه، ولهذا استنبط بعض المحققين من قوله: ﴿**خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ أن إيتاء الحكمة خير من الدنيا وما فيها كلها؛ لأن الله وصف الدنيا في قوله: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ**﴾[2]، فدل فذلك على أن ما يؤتيه الله من حكمته خير من الدنيا وما عليها؛ لأن من أوتيها خرج من ظلمة الجهل إلى نور الهدى، وحمق الانحراف في الأقوال والأفعال إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد والاعتدال،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٧.

obeikandl.com

والبصيرة المستنيرة، وإتقان الأمور وإحكامها، وتنزيلها منازلها، وهذا كله من أفضل العطايا وأجل الهبات.

والحكمة لها طرق تكتسب بها بتوفيق الله تعالى، ومن أهم هذه الطرق التي إذا سلكها المسلم صار حكيماً بإذن الله تعالى ما يأتي:

العلم النافع، والحلم، والأناة، والرفق واللين، والإخلاص والتقوى، والصبر والمصابرة، والسلوك الحكيم، والعمل بالعلم، والاستقامة، والخبرات والتجارب، وجهاد النفس والشيطان، وعلو الهمة، والعدل، والدعاء، والاستخارة والاستشارة[1]. وفقه وإتقان أركان الدعوة إلى الله تعالى.

وسأذكر في هذا المبحث بالتفصيل بعض هذه الطرق التي إذا سلكها الداعية المسلم – مع ما تقدم من الطرق – كان حكيماً في أقواله وأفعاله، وتصرفاته، وأفكاره، موافقاً للصواب في جميع أموره بإذن الله تعالى، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: السلوك الحكيم.

المطلب الثاني: العمل بالعلم والإخلاص.

المطلب الثالث: الاستقامة.

المطلب الرابع: الخبرات والتجارب.

---

(١) انظر: هذه الطرق بالتفصيل في هذا الكتاب في الصفحات الآتية: ٥٣، ١٢٨، ١٣٣-١٣٨، ١٨٠-١٨٤ و٨٤٦-٨٥٢.

المطلب الخامس: السياسة الحكيمة.

المطلب السادس: فقه أركان الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الأول: السلوك الحكيم

السلوك: مصدر سلك يقال: سلك طريقاً، وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً[1]، وسلكه غيره.

والسلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسن السلوك أو سيّئ السلوك[2].

أما الخلق فهو: حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، وجمعه: أخلاق.

والأخلاق علم موضوعه أحكام قيمة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح[3]، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج لأدنى سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، كمن يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه.

القسم الثاني: ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه

---

(١) لسان العرب لابن منظور، حرف الكاف فصل السين، ٤٤٢/١٠.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (سلك)، ٤٤٥/١.

(٣) المعجم الوسيط، مادة (خلق)، ٢٥٢/١.

بالرويّة والفكر، ثم يستمر عليه حتى يصير ملكة وخلقاً[1].

والسلوك عمل إرادي، كقول: الصدق، والكذب، والبخل، والكرم، ونحو ذلك.

فاتضح أن الخلق حالة راسخة في النفس وليس شيئاً خارجاً مظهريّاً، فالأخلاق شيء يتصل بباطن الإنسان، ولابد لنا من مظهر يدلنا على هذه الصفة النفسية، وهذا المظهر هو السلوك، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فنحن نستدل من السلوك المستمر لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق، ورمز له، وعنوانه، فإذا كان السلوك حسناً دل على خلق حسن، وإن كان سيئاً دل على خلق قبيح، كما أن الشجرة تعرف بالثمر، فكذلك الخلق الطيب يعرف بالأعمال الطيبة[2].

والحكمة تتفرع إلى فروع، وأحد هذه الفروع هو السلوك الحكيم، والتزام فضائل الأخلاق، واجتناب رذائلها ظاهراً وباطناً هو السلوك الأخلاقي الحكيم[3].

والداعية إذا التزم السلوك الأخلاقي الحكيم كان ذلك من أعظم طرق اكتساب الحكمة، ومن أسباب توفيق الله له في دعوته، وفي أموره كلها، واستقامته، وحسن سيرته، وأدعى لقبول دعوته،

(١) انظر: مقدمة في علم الأخلاق، د/محمود حمدي زقزوق، ص٣٩.

(٢) انظر: مقدمة في علم الأخلاق، ص٤٣.

(٣) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني، ١/١٣.

وإصلاح الأخلاق، ومحاربة المنكرات، إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي، سواء كان ذلك قبل قيامه بالدعوة أو بعده، وكثيراً ما سمعنا أن أناساً قاموا بدعوة الإصلاح، وخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إعراض الناس عنهم، وعن دعوتهم ما يذكرونه لهم من ماضٍ ملوّث، وخلق غير مستقيم، بل إن هذا الماضي السيِّئ مدعاة للشك في صدق مثل هؤلاء الدعاة، بحيث يتهمون بالتستر وراء دعوة الإصلاح؛ لأغراض خاصة، أو يتهمون بأنهم ما بدءوا بالدعوة إلى الإصلاح إلا بعد أن قضوا بعض أوقات أو مراحل أعمارهم، وأخذوا نصيبهم من ملذات الحياة وشهواتها، وأصبحوا في وضع أو عمر لا أمل لهم فيه بالاستمرار فيما كانوا يبلغون فيه من عرض أو مال، أو شهرة، أو جاه.

أما الداعية المستقيم في شبابه وحياته كلها، فإنه يظل أبداً بفضل الله رافع الرأس، ناصع الجبين، ولا يجد أعداء الدعوة سبيلاً إلى غمزه بماضٍ قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف وسيلة إلى التشهير به، أو دعوة الناس إلى الاستخفاف به وبشأنه.

ولاشك أن الله ﷻ يقبل توبة التائب المقبل عليه بصدق وإخلاص، ويمحو بحسناته الحاضرة سيئاته المنصرمة. والداعية إذا استقامت سيرته، وحسنت سمعته الطيبة الحميدة، وسلوكه

الحكيم[1] نجح في دعوته بإذن الله تعالى.

وإذا سلك الداعية المسالك الحكيمة في سلوكه فقد سلك أعظم الطرق في اكتساب الحكمة، ومن هذه المسالك على سبيل المثال ما يأتي:

المسلك الأول: قدوة الداعية في سلوكه.

المسلك الثاني: أصول السلوك الحكيم.

المسلك الثالث: وصايا الحكماء باكتساب الحكمة.

المسلك الأول: قدوة الداعية في سلوكه:

ينبغي للداعية أن يتخذ في سلوكه وأعماله كلها قدوة حكيماً، وإماماً نبيلاً، وهو محمد بن عبد الله ﷺ فقد كان حسن السيرة والسلوك، بل كان أعظم خلق الله في حسن خلقه، الذي دل عليه سلوكه الحكيم، ولا غرابة فقد مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]، وعرف قومه ذلك منه، ولكن صد بعضهم عن تصديقه الكبر والجحود ﴿**فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾[3]؛ ولهذا عندما قال ﷺ لقومه: «**أرأيتكم لو**

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي، ص٣٩.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

obeikandl.com

أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟»، قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[1].

وفي حديث أبي سفيان مع هرقل حينما سأله عن أحوال النبي ﷺ وسلوكه، قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: قلت: لا... ثم قال: ماذا يأمركم به؟ قال أبو سفيان: قلت: يقول:«**اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة...**» ثم قال هرقل لأبي سفيان في نهاية الحديث: فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»[2].

فهذا الرسول الكريم هو قدوة الداعية، وإمامه الذي يسير على هديه، ويلتزم أخلاقه، وسلوكه، فقد كان ﷺ حسن السيرة والسلوك الحكيم في حياته كلها، ولم يتهم بشيء مما كان يعمله قومه، فقد نشأ ﷺ في مجتمع كثرت فيه المفاسد، وعمت فيه الرذائل: فالبغاء،

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة تبت، باب حدثنا يوسف، ٨/٧٣٧، (رقم ٤٩٧١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، ١/١٩٤، (رقم ٢٠٨).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان، ١/٣٢، (رقم ٧).

والاستبضاع، والزنى الجماعي، والإفرادي، ونكاح أسبق الرجال ممن مات زوجها، والاعتداء على الأعراض والأموال والدماء، كل ذلك كان شائعاً في قومه قبل الإسلام، لا ينكره أحد، ولا تحاربه جماعة، هذا بالإضافة إلى وَأْدِ البنات، وقتل الأولاد خشية الفقر أو العار، ولعب الميسر، وشرب الخمر، أمور تعد في الجاهلية من المفاخر والتباهي، وليس من شرط أن يكون المجتمع كله يرتكب هذه الجرائم، وإنما عدم إنكارها هو دليل على الرضى بها، وهذا ما يدعو إلى انتشارها إلى جانب الأفكار الأخرى.

والنبي ﷺ لم يعمل أي عمل أو يباشر أي خلق من هذه الأخلاق الرذيلة، بل قد اتصف بجميع مكارم الأخلاق بين قومه، فكان صادقاً لا يعرف الكذب، أميناً لا يعرف الخيانة، وفيًّا لا يعرف الغدر، حتى كان معروفاً في مجتمعه بهذه الصفات مميزاً بها عن غيره، ولا يجهل ذلك أحد ممن عرفه، ولا يساويه في ذلك أحد من خلق اللَّه، ولا ينكر ذلك أحد، سواء كان عدوًّا أو غيره، ولا يمكن أن يتهمه خصم، فقد بُعِثَ ﷺ وناصَبَهُ قومه العداء، ولكن لم يستطع واحد منهم أن يتهمه بصفة غير لائقة أو خلق يعيبه به، ولو عرفوا شيئاً من ذلك – وقد عاش بينهم أربعين عاماً – لأراحهم من التنقيب عن خصلة غير حميدة يتهمونه بها عندما يحل الموسم، ويلتقي بالناس في الحج حتى يبعدوه عنهم فعجزوا عن ذلك، ووجدوا أن كلمة «ساحر» هي أنسب الصفات التي يطلقونها عليه

حيث يفرق بدعوته إلى الله بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والرجل وزوجته، واتهموه بالجنون؛ لأنه خالف شركهم ودعا إلى عبادة الله وحده، ولم يستطيعوا أن يأتوا بأي خلق رذيل فينسبوه إليه ﷺ، وعندما سألهم ﷺ عن صدقه قالوا: «ما جربنا عليك كذباً»[1]، ولهذا لُقِّبَ بين قومه بـ «محمد الأمين»[2].

فالصدق والأمانة من أولى الأخلاق وأحكم السلوك، التي يجب على الدعاة إلى الله الاتصاف والتخلِّق بها، والصدق يكون في: القول، والنية، والعزم، والعمل.

فالصدق في القول هو أشهر أنواع الصدق، ويكون بالإخبار، فإن نقل الداعية أو غيره من المسلمين خلاف الواقع وما هو عليه فهو كاذب ومفتر، ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾[3].

وقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب حدثنا يوسف بن موسى، ٧٣٧/٨ (رقم ٤٩٧١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، ١٩٤/١، (رقم ٢٠٨)، وتقدم تخريجه.

(٢) أحمد في المسند من حديث السائب بن عبد الله ﷺ، بإسناد حسن، ٤٢٥/٣، قال الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي: وله شاهد من حديث علي ﷺ رواه الطيالسي بترتيب الشيخ عبد الرحمن البنا، ٨٦/٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

أخلف، وإذا اؤتمن خان»[1].

والصدق في النية: الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى.

والصدق في العزم على العمل؛ كأن يقول المسلم: لئن عافاني الله لأتصدقنّ في سبيله بكذا، فإذا عوفي دخل الصدق بالوفاء فيما نذر به.

وقد ذم الله ﷻ عدم الصدق بالوفاء بالعهد: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ**﴾[2].

والصدق في العمل: يكون بأن لا يختلف ظاهر الداعية المسلم عن باطنه[3]، فما أجمل وما أحسن، وما أحكم، وما أكرم من سار على هديه ﷺ واتبع سلوكه الحكيم، وكل سلوكه حكيم ﷺ وكيف لا يكون كذلك وهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين، متمماً لمكارم الأخلاق، قال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[4].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، ١/٨٩، (رقم ٣٣)، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ١/٨٧، (رقم ٥٩).

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ١/٣٣.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى بلفظه، ١٠/١٩٢، وأحمد، ٢/٣٨١، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/٦١٣، وانظر: صحيح الجامع الصغير، ٣/٨، برقم ٢٨٣٠، والأحاديث =

وسُئلت عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ عن خلقه، فقالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[1].

ولنا فيه خير أسوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]، فحريٌّ بالداعية أن يلتزم سلوكه، وبذلك يكون حكيماً في دعوته، موافقاً للصواب بإذن الله تعالى.

المسلك الثاني: أصول السلوك الحكيم

لقد جعل الله ﷻ للسلوك الحكيم قواعد عظيمة، إذا التزمها الداعية إلى الله ﷻ كان ذلك من أسباب توفيق الله له، واكتسابه الحكمة، ومن أجمع الآيات في هذا الشأن، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

وهذه الآية من أعظم قواعد السلوك الحكيم وأصوله العظيمة، فهي جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، وهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة

= الصحيحة، ١/٧٥، برقم ٤٥.

(١) مسلم، في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ١/٥١٣، (رقم ٧٤٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

obeikandl.com

على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي قربى، فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة على فحشاء، أو منكر، أو بغي، فهي مما نهى الله عنه.

وبهذا يُعْلَم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال[1].

فهذه الأوامر والنواهي جمعت فضائل الأخلاق والآداب، وأنواع التكاليف التي رسمها الله وحث عليها، لما فيها من إصلاح النفوس، وصلاح حال الأمم والشعوب[2]؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أجمع آية في كتاب الله للخير والشر الآية التي في النحل»: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**... ﴾ الآية[3].

والداعية المسلم من أولى الناس بتطبيق هذا السلوك الحكيم، فيكون عدلاً محسناً، واصلاً لأقربائه، مبتعداً عن الفحشاء والمنكر، والبغي.

والعدل: ضد الجور[4]، وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه[5] وأنواعه ثلاث:

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ٢٣٣/٤، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ٢١٨٩/٤-٢١٩١، وتفسير المراغي، ١٣٠/١٤.

(٢) انظر: تفسير المراغي، ١٣٠/١٤.

(٣) أخرجه الإمام الطبري بسنده في تفسيره، ١٠٩/٤.

(٤) انظر: القاموس المحيط، ١٣٣١.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، ٥٨٨/٢.

(أ) العدل بين العبد وربه، وهو: إيثار حق الله على حظ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والامتثال للأوامر، والاجتناب للزواجر.

(ب) العدل بين العبد وبين نفسه: منعها عما فيه هلاكها ودمارها، وإلزامها بتقوى الله في السر والعلن.

(ج) العدل بين العبد وبين الخلق: ببذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من النفس بكل وجه، ولا يكون من الداعية إلى أحد مساءة بقول أو فعل، والصبر على ما يحصل منهم من البلوى، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل ما عليه[1].

والإحسان: مصدر أحسن يحسن إحساناً، وهو على معنيين[2]:

(أ) أحدهما متعد بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، أي: حسَّنته وكمَّلته، وهو منقول بالهمزة، من: حسن الشيء، وهذا المعنى يدل عليه حديث جبريل: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

وهذا المعنى راجع إلى إحسان العبادة وتكميلها وتحسينها،

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي، ١١٧٢/٣، وأحكام القرآن للقرطبي، ١٦٦/١٠، وفي ظلال القرآن، ٢١٩٠/٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٦٧/١٠، وتفسير السعدي، ٢٣٢/٤.

(٣) البخاري، في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (رقم ٥٠)، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ٣٧/١، (رقم ٨).

والقيام بها كما يحب الله – تعالى – على الوجه الأكمل، ومراقبة الله فيها واستحضار عظمته وجلاله: حالة الشروع فيها، وحالة الاستمرار.

(ب) والمعنى الثاني: متعد بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى فلان، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به، وهذا إيصال المنافع بأنواعها إلى الخلق، ويدخل في ذلك حتى الإحسان إلى الحيوانات[1].

ومن قواعد السلوك الحكيم التي تشتمل على عدة من أمهات الحكم العالية[2] قوله تعالى: ﴿**لاَّ تَجْعَل مَعَ اللَّهِ إِلَـهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً، وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾... الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ**﴾ [3].

فبين الله ﷻ في هذه الوصايا الحكيمة قواعد السلوك الحكيم، وبدأه بقاعدة التوحيد؛ ليقيم على هذه القاعدة البناء الاجتماعي كله، وآداب العمل والسلوك فيه، كما تربط بهذه العروة الوثقى جميع الروابط؛ فإن جميع ما في الحياة لا يقوم بناؤه إلا بالتوحيد، وكل سلوك لا يقوم ولا يستند إلى توحيد الله لا تقوم له قائمة، ولا يطلق

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠/١٦٧.

(٢) انظر:تفسير السعدي،٤/٢٧٩، وتفسير النسفي، ٤/١٣٠، والرياض الناضرة للسعدي، ص٨٧.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٢٢- ٢٣-٣٩.

عليه سلوكاً حكيماً، بل سلوكاً جاهليًّا[1].

وهذه الوصايا في سورة الإسراء من أعظم ما تكتسب به الحكمة، قال الإمام الشوكاني: «وترتقي إلى خمسة وعشرين تكليفاً»[2].

فاشتملت هذه الوصايا على خمس وعشرين حكمة، الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط بها هو سبب خسران الدنيا والآخرة[3].

ويختم الله ﷻ الأوامر والنواهي في الوصايا كما بدأها بربطها بالله وعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك، وبيان أن هذه المذكورات بعض الحكمة التي يهدي إليها القرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ: ﴿**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا**﴾، وهو ختام يشبه الابتداء، فتجيء محبوكة الطرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام الحياة، قاعدة: توحيد الله وعبادته وحده دون ما سواه[4].

وبهذا يُعلم أن من عمل بهذه القواعد، والتزم هذا السلوك الحكيم قد سلك أعظم طرق اكتساب الحكمة؛ لأن الحكمة معرفة الحق

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٢٢٠٩/٤، ٢٢٢٠.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني، ٢٢٩/٣.

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٥٩٩/٢.

(٤) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ٢٢٢٨/٤.

والصواب والعمل به، ولهذا قال تعالى بعد أن ذكر الوصايا العشر في سورة الأنعام: ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1].

المسلك الثالث: وصايا الحكماء باكتساب الحكمة

الحكماء الذين آتاهم الله الحكمة يوصون باكتساب أصول الحكم التي من التزمها وعمل بها بإخلاص وصدق وفقه الله لاكتساب الحكمة، ومن ذلك ما أخبر الله به عن لقمان الحكيم ووصاياه الحكيمة التي آتاه الله إياها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾... الآيات إلى قوله تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[2].

هذه وصية حكيم لابنه، فهي نصيحة مبرأة من العيب، وصاحبها قد أوتي الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، وهي تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية من وصايا هذا الحكيم لابنه يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها

(١) الوصايا العشر في سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

(٢) سورة لقمان، الآيات: ١٢-١٣، ١٩.

إن كانت نهياً، وهذا يدل على أن الحكمة هي: العلم بالأحكام، وحكمها، ومناسباتها، ووضع الأشياء مواضعها.

ومن فضل الله على عباده ومنّته أن قص عليهم هذه الحكم حتى يعملوا بها ويكتسبوها بفضله تعالى، وهذا الحكيم أمر ابنه بأصل الدين وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك بالله، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكر الله وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما بل يحسن إليهما، وأن لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك، وأمره بمراقبة الله ﷻ وخوّفه القدوم عليه، وأنه تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلا أتى بها، فصور له عظمة علم الله، ودقة شموله، وإحاطته تصويراً يرتعش له الوجدان البشري، وأوصاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ما أمره بتكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، حتى يحصل الكمال لغيره بعد كمال نفسه، ولما علم هذا الحكيم أنه لابد أن يُبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس أمره بالصبر على ما يحصل له من المشقة والأذى؛ فإنه لابد وأن يواجه المتاعب التي يواجهها صاحب العقيدة الصحيحة، وبين له أن ذلك من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يقف لها إلا أهل العزائم؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصبر يسهل الله بذلك كل أمر عسير، كما قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُواْ**

﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ [1].

ومع ذلك كله من الأمر بجميع الحكم السابقة لم يغفل هذا الحكيم عن وصية ابنه بالآداب السامية، فنهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك حتى لا يتطاول على الناس فيفسد بالقدوة ما يصلح الكلام.

فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، وهذا السلوك الحكيم أن يكون مخصوصاً بالحكمة، مشهوراً بها، وحقيق بمن التزم هذه الوصايا – بصدق وإخلاص ورغبة فيما عند الله – أن يؤتيه الله الحكمة، ويوفقه للصواب في القول والعمل [2].

ومما يبين أن الإنسان يكتسب الحكمة بتوفيق الله ثم بالتزامه للسلوك الحكيم – رغبة فيما عند الله وطلباً لرضاه – ما ذُكِرَ من الأسباب التي اكتسب بها لقمان الحكمة بعد توفيق الله له وتسديده، ومن ذلك: أنه وقف رجل على لقمان، فقال له: أنت لقمان، أنت عبد بني النحاس؟ قال: نعم، قال: فأنت راعي الغنم الأسود؟ قال: أما سوادي فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك. قال: يا ابن أخي إن أنت

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥، وانظر أيضاً: سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٤٤/٣، وفي ظلال القرآن، ٢٧٨١/٥، ٢٧٩٠، ٢٧٨٢، وتفسير السعدي، ١٥٩/٦، ١٦١.

صنعت ما أقول لك كنت كذلك، قال: وما هو؟ قال لقمان: «غَضِّي بصري، وكفِّي لساني، وعفَّة طعمتي، وحفظي فرجي، وقيامي بعدتي، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيَّرني كما ترى»[1].

وسأله آخر عن السبب الذي بلغ به الحكمة، فقال: «قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني»[2].

وسأله آخر، فقال: «صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني»[3].

وهذه الأخلاق الكريمة، والسلوك الحكيم يزخر بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليست من قول لقمان وحده، فاتضح بذلك أن الداعية إلى الله وغيره من المسلمين إذا سلك هذه المسالك اكتسب الحكمة بعون الله تعالى.

المطلب الثاني: العمل بالعلم المقرون بالصدق والإخلاص

العمل بالعلم بإخلاص، وصدق، ورغبة في رضى الله ﷻ من أعظم المطالب التي تكتسب بها الحكمة بتوفيق الله وتسديده وفضله وإحسانه.

والعلم هو ما قام عليه الدليل، وهو النقل المصدق والبحث

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٢/٢٢٤، وعزاه بسنده إلى ابن وهب.

(٢) البداية والنهاية، ٢/٢٢٤، وعزاه لابن أبي حاتم بسنده.

(٣) أخرجه ابن جرير بإسناده في تفسيره، ٢١/٤٤، وانظر: البداية والنهاية، ٢/١٢٤.

المحقق، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ: علم الكتاب والسنة، والمطلوب من الإنسان هو فهم معانيهما، والعمل بما فيهما، فإن لم تكن هذه همة حافظ القرآن وطالب السنة لم يكن من أهل العلم والدين[1].

ولهذا كانت الحكمة عند العرب هي العلم النافع والعمل الصالح[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «قال غير واحد من السلف: الحكمة معرفة الدين والعمل به»[3].

والعلم بلا عمل حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر الله المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون، فقال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾[4].

ومثل من يتعلم العلم ويزداد منه ولا يعمل به مثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة، ثم ذهب يحملها فعجز عنها، فضم إليها أخرى[5].

والداعية لا يكون حكيماً في دعوته ما لم يعمل بعلمه، ولهذا

---

(١) انظر: مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٣/١٣٦، ٦/٣٣٨، ٢٣/٥٤.

(٢) المرجع السابق، ١٩/١٧٠، وتفسير العلامة السعدي، ٦/١٥٤.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٢٢، ٢٣، وانظر: تفسير الطبري، ١/٨٧.

(٤) سورة الصف، الآيتان: ٢- ٣.

(٥) انظر: الزهد للإمام أحمد، ص٨٥.

obeikandl.com

ينفر الناس عنه، وتزل موعظته من القلوب، كما يزل القطر من الصفا؛ لأن الكلام – في الغالب – إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان[1]، قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُقبل ما تقول ويُقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

تصف الدواء لذي السقام من الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم

أراك تلقح بالرشاد عقولنا ... نصحاً وأنت من الرشاد عديم

لا تنهَ عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم[2]

والعمل بالعلم لابد فيه من الإخلاص، والإخلاص لابد أن يقصد به وجه اللَّه، ومحبته، ورضاه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه: «حُكيَ أن أبا حامد بلغه أن من أخلص للَّه أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يوماً، فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي: إنك أخلصت للحكمة، لم تُخْلِصْ للَّه»[3].

وذلك أن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه، أو

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ٨/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٩٦/١، ودرء تعارض العقل والنقل، ٢٢/٩، ٢٣.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ٦٦/٦.

غير ذلك من المطالب.

وقد عرف أن ذلك لم يحصل بالإخلاص لله، وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله وإرادة وجهه كان متناقضاً؛ لأن من أراد شيئاً لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص؛ ليصير عالماً، أو عارفاً، أو ذا حكمة، أو متشرفاً بالنسبة إليه، أو صاحب مكاشفات وتصرفات، ونحو ذلك، فهو هنا لم يرد الله، بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى، وإنما يريد الله ابتداء من ذاق حلاوة محبته وذكره[1].

وقال ابن تيمية رضي الله عنه: «وقد روي: إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله – سبحانه – بقلبه ملكاً يغرس فيه آثار الحكمة، كما يغرس أكار[2] أحدكم الفسيل في بستانه»[3].

أما من لم يعمل بالعلم، أو عمل به ولكنه لم يخلص في ذلك فهذا بعيد عن إيتاء الحكمة التي من أوتيها فقد أُوتي خيراً كثيراً؛ ولهذا قال الشاعر:

وكيف يصح أن تُدعى حكيماً ... وأنت لكل ما تهوى ركوب[4]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦٦/٦، ٦٧ بتصرف.

(٢) الأكار: الزراع. انظر: لسان العرب، حرف الراء، فصل الهمزة، مادة: أكر.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٥١٨/٨.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢٢/٩، ٢٣.

المطلب الثالث: الاستقامة

الاستقامة: كلمة جامعة تشمل الدين كله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (١). وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (٢)، وقال تعالى للنبي ﷺ: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (٣).

وعن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك! قال: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**» (٤).

والمطلوب من العبد المسلم وخاصة الدعاة إلى الله: الاستقامة، وهي السداد؛ فإن لم يقدر فالمقاربة، فإن نزل عن المقاربة فلم يبق إلا التفريط والضياع.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**سددوا وقاربوا،**

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣- ١٤.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٤) مسلم، في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ١/٦٥، (رقم ٣٨).

obeikandl.com

واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني اللَّه برحمة منه وفضل»[1].

فجمع هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة وهي: السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال، وعلم النبي ﷺ أنهم لا يطيقون الاستقامة، فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقرب الإنسان من الاستقامة بحسب طاقته، كالذي يرمي إلى الهدف، فإن لم يصبه يقاربه، ومع هذا أخبرهم ﷺ أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يعتمد أحد على عمله، ولا يعجب به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة اللَّه، وعفوه، وفضله، فالاستقامة كلمة آخذة بمجامع الدين كله، وهي القيام بين يدي اللَّه على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات.

والداعية إلى اللَّه يجب أن يكون من أعظم الناس استقامة، وبهذا – بإذن اللَّه تعالى – لا يُخيِّب اللَّه سعيه، ويجعل الحكمة على لسانه، وفي أفعاله، وتصرفاته، وهو تعالى ذو الفضل والإحسان[2].

وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وبذلك يقبل قول الداعية، ويقتدى بأفعاله، فيعطى بذلك خيراً كثيراً، وثواباً جزيلاً؛ لإخلاصه

---

(١) مسلم، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة اللَّه، ٤/٢١٧٠، (رقم ٢٨١٦/ ٧٦).

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٢/١٠٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٥/٣٥٧.

وصدق نيته، ورغبته فيما عند الله ﷻ، ويحصل على أحسن قول وعمل على الإطلاق، كما قال ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[1].

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الدعوة، ومع الاستسلام الكامل لله وحده، والاعتزاز بالإسلام.

وبهذا يُعلم أن هذه الآية اشتملت على ثلاثة شروط حتى يكون الداعية لا أحد أحكم ولا أحسن قولاً منه في الدنيا أبداً:

الشرط الأول: دعوته إلى الله – تعالى – بأن يُعبد وحده، فَيُطاع فلا يُعصى، ويُذكرَ فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

الشرط الثاني: عمل الداعية الصالحات بأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والقيام بالمستحبات، والابتعاد عن المكروهات، فهو مع دعوته الخلق إلى الله يبادر هو بنفسه إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

الشرط الثالث: اعتزاز الداعية بالإسلام وانقياده لأمره شكراً لربه؛ ولأنه على الحق الواضح المبين، فإذا قام الداعية بهذه الشروط

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

الثلاثة، فلا أحد أحسن قولاً منه[1].

ولكن قد يحصل للداعية ما يصده عن دعوته من شياطين الإنس، وشياطين الجن، فبين الله ﷻ أن المخرج من شياطين الإنس بالإحسان إليهم، ومعاملتهم باللين، والعفو عنهم، والإعراض عن جهلهم وإساءتهم.

أما شياطين الجن فلا منجى منهم إلا بالاستعاذة منهم بالله وحده[2]، قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[3].

ولاشك أن الداعية إذا سلك هذه المسالك الحكيمة اكتسب الحكمة بتوفيق الله تعالى.

المطلب الرابع: الخبرات والتجارب

التجربة لها الأثر العظيم في اكتساب المهارات والخبرات، وهي من أعظم طرق اكتساب الحكمة، والتجربة لا تُخرِج الحكمة عن

---

(١) انظر: تفسير العلامة السعدي، ٥٧٥/٦، وتفسير الجزائري، ١٢٠/٤.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، ٣٤١/٢، ٣٤٢، وتفسير السعدي، ٥٢٧/٦، وزاد المعاد، ٤٦٢/٢.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٩- ٢٠٠، وانظر: سورة المؤمنون، الآيات: ٩٦-٩٨، وسورة فصلت، الآيات: ٣٤-٣٦.

كونها فضل الله يؤتيه من يشاء؛ فإنه المعطي الوهاب ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1]، ولكنه سبحانه جعل لكل شيء سبباً يوصل إليه.

والتجربة في العلم اختبار منظم لظاهرة أو ظواهر يراد ملاحظتها ملاحظة دقيقة منهجية؛ للكشف عن نتيجة ما، أو تحقيق غرض معين، وما يعمل أولاً لتلافي النقص في شيء وإصلاحه[2]، ويُقال: جربه تجربة: اختبره، ورجل مجرب، كمعظم: بُلِيَ ما كان عنده، ومجرب: عرف الأمور[3]، تقول: جربت الشيء تجريباً: اختبرته مرة بعد أخرى، والاسم التجربة، والجمع التجارب[4].

وعن معاوية ﷺ قال: «لا حكيم إلا ذو تجربة»[5].

ومن المعلوم أن الحكيم لابد له من تجارب قد أحكمته، ولهذا قيل: «**لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة**»[6].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٢) المعجم الوسيط، مادة: جرب، ١١٤/١.

(٣) القاموس المحيط، باب الباء، فصل الجيم، ص٨٥.

(٤) المصباح المنير، مادة جرب، ص٩٥.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، موقوفاً على معاوية مجزوماً به، ٥٢٩/١٠.

(٦) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التجارب، ٣٧٩/٤، (رقم ٢٠٣٣)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد في المسند، ٨/٣، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (رقم ٦٢٨٣).

obeikandl.com

والمعنى: لا حليم إلا صاحب زلة قدم، أو لغزة قلم في تقريره أو تحريره. وقيل: لا حليم كاملاً إلا من وقع في زلة، وحصل منه الخطأ والتخجل، فعفي عنه فعرف به رتبة العفو، فيحلم عند عثرة غيره؛ لأنه عند ذلك يصير ثابت القدم، ولا حكيم كاملاً إلا من جرب الأمور، وعلم المصالح والمفاسد؛ فإنه لا يفعل فعلاً إلا عن حكمة، إذ الحكمة إحكام الشيء وإصلاحه عن الخلل[1]، والحكيم هو المتيقظ المتنبه، أو المتقن للحكمة الحافظ لها[2].

والحكمة من أثمن نتائج التمييز والتفكير، وهي زبدة العلم والاختبار، فالعلم يخطط الأسس النظرية، ثم يكتمل ويصقل بالخبرة العملية المبنية على المران والتجارب، ولهذا كان العلماء الأحداث بسبب قلة تجاربهم أنقص حكمة، وأقل رسوخاً في العلم من كبار العلماء الراسخين في العلم[3].

وبهذا يعلم أن الداعية إلى الله إذا خالط الناس، وعرف عاداتهم وتقاليدهم، وأخلاقهم الاجتماعية، ومواطن الضعف والقوة، سيركز على ما ينفع الناس، ويضع الأشياء في مواضعها؛ لأنه قد جربهم، فالتجارب تنمي المواهب والقدرات، وتزيد البصير بصراً، والحليم حلماً، وتجعل العاقل حكيماً، وقد تشجع الجبان، وتسخي البخيل،

---

(١) انظر: فتح الباري، ٥٣٠/١٠، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ١٨٢/٦.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤٢٤/٦.

(٣) انظر: الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية للدكتور/ صبحي محمصاني، ص١٤٠.

وقد تُليِّن قلب القاسي، وتقوِّي قلب الضعيف، ومن زادته التجارب عمىً إلى عماه، فهو من الحمقى الذين قد طبع الله على قلوبهم، فهم لا يفقهون[1].

وأعظم الناس تجربة، وأكملهم حكمةً: الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم صفوة البشر اصطفاهم الله ورباهم، ثم أرسلهم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومع هذا ما بعث الله من نبي إلا رعى الغنم، كما قال ﷺ: «**ما بعث الله نبيّاً إلا رعى الغنم**»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[2].

وفي رواية: قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «**وهل من نبي إلا وقد رعاها؟**»[3].

والحكمة من ذلك – والله أعلم – أن الله ﷻ يلهم الأنبياء قبل النبوة رعي الغنم؛ ليحصل لهم التمرين والتجربة برعيها على ما يُكلَّفُونه من القيام بأمر أمتهم؛ ولأن في مخالطتها ما يُحصِّل لهم

---

(١) انظر: هكذا علمتني الحياة، القسم الأول، للدكتور مصطفى السباعي، ص٤٧.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ٤٤١/٤، (رقم ٢٢٦٢).

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب يعكفون على أصنام لهم، ٤٣٨/٦ (رقم ٦٤٠٦)، وكتاب الأطعمة، باب الكباث ٥٧٥/٩ (رقم ٥٤٥٣)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث، ١٦٢١/٣، (رقم ٢٠٥٠)، وهو النضيج من ثمر الأراك، انظر: شرح النووي، ٦/١٤.

الحلم والشفقة، كما قال ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدةً وألين قلوباً. الإيمانُ يَمانٍ، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم**»[1]، ولأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طبائعها، وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طبائعهم وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك؛ لكونها أضعف من غيرها؛ ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر، لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها[2].

ثم بعد رعيهم الغنم جربوا الناس، وعرفوا طبائعهم، فازدادوا تجارب إلى تجاربهم، ولهذا قال موسى ﷺ لمحمد ﷺ عندما فرضت عليه الصلاة خمسون صلاة في كل يومٍ ليلة الإسراء والمعراج: «**إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ٩٨/٨، (رقم ٤٣٨٨)، ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، ٧١/١، (رقم ٥٢).

(٢) انظر: فتح الباري، ٤٤١/٤، وشرح النووي على مسلم، ٦/١٤.

قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك...» فما زال النبي ﷺ يراجع ربه، ويضع عنه حتى أُمِرَ بخمس صلوات كل يوم[(١)].

فموسى ﷺ قد جرب الناس، وعلم أن أمة محمد ﷺ أضعف من بني إسرائيل أجساداً، وأقل منهم قوةً، والعادة أن ما يعجز عنه القوي فالضعيف من باب أولى[(٢)].

فالداعية بتجاربه بالسفر، ومعاشرته الجماهير، وتعرفه على عوائد الناس وعقائدهم، وأوضاعهم، ومشكلاتهم، واختلاف طبائعهم وقدراتهم، سيكون له الأثر الكبير في نجاح دعوته وابتعاده عن الوقوع في الخطأ؛ لأنه إذا وقع في خطأ في منهجه في الدعوة إلى الله، أو أموره الأخرى لا يقع فيه مرة أخرى، وإذا خُدع مرة لم يخدع مرة أخرى، بل يستفيد من تجاربه وخبراته، ولهذا قال ﷺ: «**لا يُلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين**»[(٣)]، وقال: «**كلكم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[(٤)].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ٢٠٢/٧، (رقم ٣٨٨٧).

(٢) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي، ٢٢٠/١، وفتح الباري، ٤٦٣/١.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ٥٢٩/١٠، (رقم ٦١٣٣)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ٢٢٩٥/٤، (رقم ٢٩٩٨).

(٤) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا هناد ٦٥٩/٤ (رقم ٢٤٩٩)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر التوبة، ١٤٢٠/٢، (رقم ٤٢٥١)، والدارمي في الرقائق، باب التوبة =

وإذا أراد الداعية أن يكتسب الحكمة من التجارب، فلابد له – لإصلاح المتدينين وتوجيههم – أن يعيش معهم في مساجدهم، ومجتمعاتهم، ومجالسهم، وإذا أراد إصلاح الفلاحين والعمال عاش معهم في قراهم ومصانعهم، وإذا أراد أن يصلح المعاملات التجارية بين الناس، فعليه أن يختلط بهم في أسواقهم، ومتاجرهم، وأنديتهم، ومجالسهم، وإذا أراد أن يصلح الأوضاع السياسية، فعليه أن يختلط بالسياسيين، ويتعرف إلى تنظيماتهم، ويستمع لخطبهم، ويقرأ لهم برامجهم، ثم يتعرف إلى البيئة التي يعيشون فيها، والثقافة التي حصلوا عليها، والاتجاه الذي يندفعون نحوه؛ ليعرف كيف يخاطبهم بما لا تنفر منه نفوسهم، وكيف يسلك في إصلاحهم بما لا يدعوهم إلى محاربته عن كره نفس واندفاع عاطفي، فيحرم نفسه من الدعوة إلى اللَّه، ويحرم الناس من علمه[1]، وهذا يؤهله إلى أن يُحدِّثَ الناس بما يعرفون، ولا يحدثهم حديثاً لا تبلغه عقولهم، قال علي ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ اللَّه ورسوله»[2].

وقال ابن مسعود ﷺ: «ما أنت بِمُحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه

=

٢/٢١٣، (رقم ٢٧٣٠)، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/٣٠٥.

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي، ص٤١، والرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، لعبد الرحمن السعدي، ص٨٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ١/٢٢٥.

عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[1].

وهكذا ينبغي أن يكوِّن الداعية من تجاربه في الحياة، ومعرفته بشؤون الناس ما يمكنه من اكتساب الحكمة، وتحقيق قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2].

المطلب الخامس: السياسة الحكيمة

إذا سلك الداعية إلى الله مسلك السياسة الحكيمة في دعوته إلى الله تعالى، فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته واكتسابه الحكمة، والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله تعالى.

والنبي ﷺ هو أُسوتنا وقدوتنا، وإمام الدعاة إلى الله، وقد سلك هذا المسلك، فنفع به العباد، وأنقذهم به من الشرك إلى التوحيد، وكان لسياسته الحكيمة عظيم النفع والأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوة سلطانه، ورفعة مقامه، ولم يعرف في تاريخ السياسات البشرية أن رجلاً من الساسة المصلحين في أي أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم، ومَن مِن المصلحين المبرزين – سواء كان قائداً محنكاً، أو مربياً حكيماً – اجتمع لديه من رجاحة العقل، وأصالة الرأي، وقوة العزم، وصدق الفراسة، ما اجتمع في رسول الله

(١) مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ١١/١، (رقم ٥).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

ﷺ؟ ولقد برهن على وجود ذلك فيه: صحة رأيه، وصواب تدبيره، وحسن تأليفه، ومكارم أخلاقه، ﷺ[1].

فإذا قام الداعية بسلوك هذا المسلك بإخلاص، وصدق وعزيمة، اكتسب من الحكمة في الدعوة إلى اللَّه مكتسباً عظيماً.

وطرق السياسة الحكيمة في الدعوة إلى اللَّه ﷻ كثيرة، منها ما يأتي:

١- **تحري أوقات الفراغ، والنشاط**، والحاجة عند المدعوين حتى لا يملوا عن الاستماع، ويفوتهم من الإرشاد والتعليم النافع، والنصائح الغالية الشيء الكثير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهة السآمة عليهم، فعن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[2].

ولهذا طبق الصحابة هذه السياسة، فقد كان عبد اللَّه بن مسعود يذكِّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة **كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها**

---

(١) انظر: هداية المرشدين، للشيخ علي بن محفوظ، ص٢٤ و٣١.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١/١٦٢، (رقم ٦٨)، وباب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، ١/١٦٣، (رقم ٧٠)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب الاقتصاد في الموعظة، (رقم ٢٨٢١).

مخافة السآمة علينا[1].

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تُنَفِّروا**»[2].

٢- ترك الأمر الذي لا ضرر في تركه ولا إثم، اتقاءً للفتنة، فقد يجد الداعية قوماً استقر مجتمعهم وعاداتهم على أشياء لا تخالف الشريعة؛ ولكن فعل غيرها أفضل، فإذا علم الداعية أنه سيحصل فتنة إذا دعا إلى ترك هذا الأمر أو فعله فلا حرج ألا يدعو، فقد ترك النبي ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم ﷺ اجتناباً لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: باباً شرقيّاً، وباباً غربيّاً، فبلغت به أساس إبراهيم**»[3].

وفي رواية: «**إن قومك قصرت بهم النفقة**»، قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: «**فعل ذلك قومك لِيُدخِلوا من شاءوا، ويمنعوا من**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، ١/١٦٣، (رقم ٧٠).

(٢) البخاري مع الفتح، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة، ١/١٦٢، (رقم ٦٩)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، ٣/١٣٥٨، (رقم ١٧٣٤).

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ٣/٤٣٩، (رقم ١٥٨٦)، ومسلم، في الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ٢/٩٦٩، (رقم ١٣٣٣).

شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض»[1].

وهذا يدل الداعية على أن المصالح إذا تعارضت، أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدِئَ بالأهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهو خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيماً، فتركها ﷺ لدفع هذه المفسدة[2].

٣- **تأليف القلوب بالمال والجاه** أحياناً، فالداعية كالطبيب الذي يُشخِّص المرض أولاً، ثم يعطي العلاج على حسب نوع المرض، فإذا علم الداعية أن المدعو لم يرسخ الإيمان في قلبه رسوخاً لا تزلزله الفتن، فله أن يعطيه من المال ما يستطيعه، للاحتفاظ بالبقاء على الهداية بالإسلام، وقد شرع اللَّه للمؤلَّفة قلوبهم نصيباً من الزكاة، وقد كان رسول اللَّه ﷺ يسلك هذا المسلك، فيؤثر حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال، إذا ظهر له أن الإيمان لم يرسخ؛ ولذلك أشار بقوله: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ٤٣٩/٣، (رقم ١٥٨٤)، ومسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة، ٩٧٢/٢، (رقم ١٣٣٣).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم، ٨٩/٩.

أن يُكبّ في النار على وجهه»[1].

وقد كان ﷺ يعطي أشراف قريش وغيرهم من المؤلَّفة قلوبهم، لتلافي أحقادهم؛ ولأن الهدايا تجمع القلوب، وتجعل القلوب متهيئة للنظر في صدق الدعوة، وصحة العقيدة، والاستفادة من الآيات البيِّنات، والبراهين الواضحة[2].

وصدق ﷺ حيث قال: «**تهادوا تحابوا**»[3].

وللتأليف بالمال أمثلة كثيرة من هديه ﷺ[4].

والتأليف بالجاه من السياسة الحكيمة، ولهذا قال ﷺ للأنصار حينما آثر عليهم غيرهم في العطاء: «**أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**»، فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا[5].

---

(١) البخاري مع الفتح بنحوه، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، ١/٧٩، (رقم ٢٧)، ومسلم في الإيمان، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، ١/١٣٢، (رقم ١٥٠).

(٢) انظر: هداية المرشدين، ص٣٥.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٦/١٦٩، والبخاري في الأدب المُفْرَد، ص٢٠٨، برقم ٥٩٤، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير: إسناده حسن، ٣/٧٠، وانظر: إرواء الغليل برقم، ١٦٠١.

(٤) انظر: صحيح مسلم، ٤/١٨٠٣-١٨٠٦، وانظر أيضاً: البخاري مع الفتح، ٣/١٣٥، ٦/٢٥٠، ١١/ ٢٥٨.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم، ٦/٢٥١، (رقم ٣١٤٦)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي =

وفي رواية: «**لو سلك الناس وادياً أو شعباً، وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار**»[1].

فإذا سلك الداعية هذه السياسة وُفِّق للصواب والحكمة – بإذن الله تعالى –.

٤- **التأليف بالعفو في موضع الانتقام**، والإحسان في مكان الإساءة، وباللين في موضع المؤاخذة، وبالصبر على الأذى، فكان يقابل الأذى بالصبر الجميل، ويقابل الحمق بالحلم والرفق، ويقابل العجلة والطيش بالأناة والتثبت.

وهذا من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الإسلام والاستقامة والثبات، وبمثل هذه المعاملة الحسنة جمع النبي ﷺ قلوب أصحابه حوله، فتفانوا في محبته والدفاع عنه، وعن دعوته بمؤازرته ومناصرته.

وقد مدح الله رسوله، وأمره بالعفو والصفح والاستغفار لمن تبعه من المؤمنين: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[2]، ﴿**لَقَدْ**

=

إيمانه، ٢/٧٣٤، ٧٣٥، (رقم ١٠٥٩/١٣٢).

(١) مسلم، في كتاب الزكاة، الباب السابق، ٢/٧٣٥، (رقم ١٠٥٩/١٣٤).

(٢) سورة آل عمران ،الآية: ١٥٩.

﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

٥- **عدم مواجهة الداعية أحداً بعينه** عندما يريد أن يؤدبه أو يزجره، مادام يجد في الموعظة العامة كفاية، وهذا من السياسة البالغة في منتهى الحكمة، ولهذا كان النبي ﷺ يسلك هذا الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله ﷺ: «**ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه، فيتنخع أمامه، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليفعل هكذا**»، ووصف القاسم فتفل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعض[2].

وفقد ﷺ ناساً في بعض الصلوات، فقال: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً يؤم الناس، ثم أخالف إلى رجالٍ [يتخلفون عنها] فأحرق عليهم بيوتهم**»[3].

وقال ﷺ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في**

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد، ١/٣٨٩، (رقم ٥٥٠).

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، ٢/١٢٥، (رقم ٦٤٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، ١/٤٥١، (رقم ٦٥١)، وما بين المعقوفين من رواية مسلم.

الصلاة»، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**»[1].

وصنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب، فحمد الله، ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن شيءٍ أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية**»[2].

وقال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[3].

وبلغه شرط أهل بريرة رحمه الله أن الولاء لهم بعد بيعها، ثم خطب الناس فقال: «**ما بال أناس يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له، وإن شرط مائة مرة، شرط الله أحق وأوثق**»[4].

وهذا يدل الداعية على أن من الحكمة عدم مواجهة الناس

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ٢/٢٣٣، (رقم ٧٥٠).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ١٠/٥١٣، (رقم ٦١٠١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته، ٤/١٨٢٩، (رقم ٢٣٥٦).

(٣) مسلم، في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ٢/١٠٢٠، (رقم ١٤٠١).

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المكاتب، باب ما يجوز من شروط المكاتب، ٥/١٨٧، (رقم ٢٥٦١)، ومسلم، كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، ٢/١١٤٢، (رقم ١٥٠٤).

بالعتاب ستراً عليهم ورفقاً بهم، وتلطفاً.

والداعية يستطيع أن يوجه العتاب عن طريق مخاطبة الجمهور إذا كان المدعو المقصود بينهم ومن جملتهم، وهذا من أحكم الأساليب[1].

٦- **إعطاء الوسائل صورة ما تصل إليه**، كقوله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[2].

فقد صور ﷺ الدلالة على فعل الخير في صورة الفعل نفسه.

وكقوله ﷺ: «**من جهز غازياً فقد غزا**»[3].

وقال ﷺ: «**إن من الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول اللَّه: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**»[4].

وهذا أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل، وإن لم يقصد إلى ما يحرم[5]، كما قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا**

---

(١) انظر: فتح الباري، ٥١٣/١٠.

(٢) مسلم، في كتاب الأمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل اللَّه، ١٥٠٦/٣، (رقم ١٨٩٣).

(٣) مسلم، في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل اللَّه، ١٥٠٧/٣، (رقم ١٨٩٥).

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ٤٠٣/١٠، (رقم ٥٩٧٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (رقم ٩٠).

(٥) انظر: فتح الباري ٤٠٤/١٠.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، فقد أعطى النبي ﷺ من يسب أبا الغير وأمه صورة من يسب والديه؛ لأنه تسبب في سبهما.

٧- **أن يجيب الداعية على السؤال الخاص** بما يتناوله وغيره حتى يكون ما أجاب به قاعدة عامة للسائل وغيره، قال عمرو بن العاص: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «**مالك يا عمرو؟**» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «**تشترط بماذا؟**» قلت: أن يُغفر لي، قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله..**»[2].

فأجاب ﷺ بما يفيد عدم المؤاخذة عن كل من اعتنق الإسلام، وعن كل من هاجر، وعن كل من حج حجًّا مبروراً، وقد كان يكفيه في الجواب أن يقول: غُفِرَ لك، أو نحوها[3].

وقال ﷺ لمن سأله عن ماء البحر: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**»[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، ١/١١٢، (رقم ١٢١).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم، ٢/١٣٨، وانظر: هداية المرشدين، ص٣٢.

(٤) أبو داود، في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، ١/٢١، (رقم ٨٣)، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، ١/١٠١، (رقم ٦٩)، والنسائي في الطهارة، باب ماء =

فأجاب ﷺ السائل عن الحكم الذي سأل عنه، وزاده حكماً لم يسأل عنه، وهو حل ميتة البحر، فعندما عرف ﷺ اشتباه الأمرِ على السائل في ماء البحر أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته، وقد يُبْتَلَى بها راكب البحر، فعقّب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة، وذلك من محاسن الفتوى أن يُجاء في الجواب بأكثر مما سُئِلَ عنه تتميماً للفائدة، وإفادة لعلمٍ غير المسئول عنه، ويتأكد عند ظهور الحاجة إلى حكم كما هنا؛ لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم بحل ميتته مع تقدم تحريم الميتة أشد توقفاً[1].

٨- **ضرب الأمثال**، قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**، وشبك بين أصابعه»[2].

وقد مثل النبي ﷺ المؤمنين في تبادل الرحمة والمودة والعطف بالجسد في روابطه العضوية، إذا مرض عضو مرضت باقي الأعضاء، فقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر**

=

البحر، ١/٥٠، (رقم ١٧٦)، وابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، ١/١٣٦، (رقم ٣٨٦)، وانظر: صحيح النسائي، ١/١٤.

(١) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام، للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، ١/١٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ١/٥٦٥، (رقم ٤٨١)، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ٤/١٩٩٩، (رقم ٢٥٨٥).

والحمى»[1].

ومثلهم النبي ﷺ في الحديث الذي قبل هذا في التعاون على البر والتقوى والتكاتف بالبنيان يشد بعضهم بعضاً كشد البنيان[2].

ومن المعلوم يقيناً أن الداعية إذا سلك هذه المسالك اكتسب الحكمة بعون الله – تعالى – ووفق لهدي النبي ﷺ في دعوته، وسدد في قوله وفعله بتوفيق الله سبحانه.

المطلب السادس: فقه أركان الدعوة إلى اللّه تعالى

لا يكون الداعية حكيماً في دعوته إلى الله – تعالى – إلا بفقه وإتقان ركائز الدعوة وأسسها التي تقوم عليها، حتى يسير في دعوته على بصيرة، ولاشك أن فهم هذه الأركان يدخل في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[3]، فلابد من معرفة الداعية لما يدعو إليه، ومن هو الداعي، وما هي الصفات والآداب التي ينبغي أن تتوفر في الداعية؟ ومن هو المدعو، وما هي الوسائل والأساليب التي تستخدم في نشر الدعوة وتبليغها؟ هذه هي أركان الدعوة:

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ١٠/٤٣٨، (رقم ٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ٤/١٩٩٩، (رقم ٢٥٨٦).

(٢) انظر: فتح الباري، ١٠/٤٥٠، وشرح النووي، ١٦/١٣٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

الموضوع، والداعي، والمدعو، والأساليب والوسائل.

المسلك الأول: موضوع الدعوة «ما يدعو إليه الداعية»:

موضوع الدعوة: هو دين الإسلام ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[1]. ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2].

وهذا ما فَصَّله حديث جبريل في ذكر أركان الإسلام: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**». وأركان الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». والإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

ولاشك أن الإسلام اختص بخصائص عظيمة منها:

١- **الإسلام من عند الله تعالى:**

٢- **شامل لجميع نظم الحياة وسلوك الإنسان**، ومن هذه النظم:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (رقم ٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ٣٩/١، (رقم ٩).

نظام الأخلاق، ونظام المجتمع، والإفتاء، والحسبة، والحكم، والاقتصاد، والجهاد، ونظام الجريمة والعقاب، وذلك كله قائم على الرحمة، والعدل، والإحسان.

٣- **عام لجميع البشرية في كل زمان ومكان: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾**[١].

٤- **وهو من حيث الجزاء**: - الثواب والعقاب الذي يصيب مُتَّبِعَهُ أو مخالفه – ذو جزاء أُخرويّ بالإضافة إلى جزائه الدنيوي إلا ما خصه الدليل.

٥- **والإسلام يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني**: وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام.

٦- **الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته**، قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**[٢].

كما يلزم الداعية فهم مقاصد الإسلام التي دلت عليها الشريعة الإسلامية: وهي تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد والأضرار عنهم في العاجل والآجل.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه: (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها)[1].

وبالجملة فإن الشريعة الإسلامية مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى: درء المفاسد عن ستة أشياء: الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية: جلب المصالح: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، وسد كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فالقرآن حل جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها[2].

فالداعية الحكيم هو الذي يدعو إلى ما تقدم من أركان الإسلام، وأصول الإيمان، والإحسان، ويبين للناس جميع ما جاء في القرآن والسنة: من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، بالتفصيل والشرح والتوضيح[3].

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية، ١٤٧/١.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، ٤٠٩/٣-٤٥٧.

(٣) انظر: فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رضي الله عنه، ٣٤٢/١، وأصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ص٧-٢٩٣، والدعوة إلى الله، للدكتور توفيق الواعي، ص٨١.

المسلك الثاني: الداعي:

لابُدّ للداعية من معرفة هذا الأصل بشروطه، وما هي عدة الداعية وسلاحه، وما هي وظيفته، وأخلاقه. وفهم ذلك من أهم المهمات للداعية. وإليك التفصيل بإيجاز:

١- وظيفة الداعية:

وظيفة الداعية إلى الله – تعالى – هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والرسل هم قدوة الدعاة إلى الله، وأعظمهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾[١]. ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ**﴾[٤].

والأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله، فالآيات التي تأمره ﷺ بالدعوة إلى الله يدخل فيها المسلمون جميعاً؛ لأن الأصل

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٧.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٧.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٦.

obeikandl.com

في خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ دخول أمته فيه إلا ما استُثْني، وليس من هذا المستثنى أمر الله تعالى بالدعوة إليه. قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (١).وقد جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أوصاف المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾(٢). وبهذا يتضح أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة على قدر الطاقة، وعلى قدر العلم، ولا يختص العلماء بأصل هذا الواجب؛ لأنه واجب على الجميع كل بحسبه، وإنما يختص أهل العلم بتبليغ تفاصيل الإسلام، وأحكامه، ومعانيه الدقيقة، ومسائل الاجتهاد، نظراً لسعة علمهم، ومعرفتهم بالمسائل، والجزئيات، والأصول، والفروع.

ومما يزيد الأمر وضوحاً قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(٣). فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، كما كان الرسول ﷺ يدعو إلى الله على

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٧١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

بصيرة وعلم ويقين.[1]

والدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة كلٌّ بحسبه، وهي تؤدى على صورتين:

الصورة الأولى: فردية، يقوم بها المسلم على صفة فردية بحسب طاقته، وقدرته، وعلمه، كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[2].

الصورة الثانية: بصفة جماعية، فتكون فرقة متصدية لهذا الشأن، كما قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3].

٢- عدة الداعية وسلاحه:

يحتاج الداعية إلى الله – تعالى – في أداء مهمته ووظيفته إلى عُدة وسلاح قوي، منها:

١- الفهم الدقيق المبني على العلم قبل العمل، والقائم على تدبر معاني وأحكام القرآن الكريم، وفهم السنة النبوية الشريفة، ويرتكز هذا الفهم على عدة أمور من أهمها:

---

(١) انظر: أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ص٢٩٥-٣٥٦.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١ (رقم ٤٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

obeikandi.com

أ- فهم الداعية العقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً متقناً بالأدلة من الكتاب، والسنة، وإجماع علماء أهل السنة والجماعة.

ب- فهم الداعية غايته في الحياة ومركزه بين البشر.

ج- تعلقه بالآخرة، وتجافيه عن دار الغرور.

٢- الإيمان العميق المثمر: لمحبة الله، وخوفه، ورجائه، واتباع رسوله ﷺ في كل أموره.

٣- اتصال الداعية بالله – تعالى – في جميع أموره، وتعلقه به، وتوكله عليه، واستغاثته به، وإخلاصه له، والصدق معه في الأقوال والأفعال.

٣- أخلاق الداعية وصفاته:

يحتاج الداعية إلى الأخلاق الحسنة والصفات الكريمة: وهي أخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه وبينها رسوله ﷺ في سنته.

ومن أهم هذه الأخلاق والصفات التي ينبغي للداعية أن يلتزمها: الصدق، والإخلاص، والدعوة إلى الله على بصيرة، والحلم، والرفق، واللين، والصبر، والرحمة، والعفو، والصفح، والتواضع، والوفاء، والإيثار، والشجاعة، والذكاء، والأمانة، والحياء المحمود، والكرم، والتقوى، والإرادة القوية التي تشمل قوة العزيمة، والهمة العالية، والتفاؤل، والنظام والدقة والمحافظة على الوقت، والاعتزاز بالإسلام، والعمل بما يدعو إليه؛ ليكون قدوةً صالحةً، والزهد،

obeikandl.com

والورع، والاستقامة، وإدراك الداعية لما حوله، والقصد والاعتدال، والشعور بمعية الله، والثقة بالله تعالى، والتدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم، كما فعل النبي ﷺ وأمر بذلك معاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن.

كما ينبغي للداعية أن يبتعد عن كل ما يضاد هذه الأخلاق من الأخلاق القبيحة.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي للداعية أن يعتني بها، معرفة القواعد، والضوابط التي يجب مراعاتها والسير على ضوئها، حتى يكون الداعية مسدداً في دعوته. ومن ذلك: قول سفيان الثوري[1]: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به، عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه»[2].

وقال الإمام محمد المقدسي: قال بعض السلف: «لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه»[3].

---

(١) هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ المجتهد: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد سنة ٩٧هـ، ومات سنة ١٦١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٧/٢٢٩-٢٧٩.

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر الخلال، ص٥٠.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص١٢٩، ونسب هذا القول إلى بعض السلف ابن تيمية أيضاً في الحسبة في الإسلام، ص٨٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحباً في هذه الأحوال»(١).

وقال ابن القيم ﵀: «فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأُولَيان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة»(٢).

فإذا طبق الداعية ما تقدم من الصفات والأخلاق والقواعد والضوابط كان من أعظم الناس حكمة – بإذن الله تعالى –.

المسلك الثالث: المدعو:

ينبغي للداعية أن يعلم أن الدعوة إلى الإسلام عامة لجميع البشر، بل للجن والإنس جميعاً، في كل زمان ومكان إلى قيام

---

(١) الحسبة في الإسلام، ص٨٤.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ﵀، ١٦/٣.

obeikandl.com

الساعة، وليست خاصة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة، أو زمان دون زمان، أو مكان دون مكان. ومن حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى، ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه، فقد كان النبي ﷺ يأتي الناس ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في المواسم، ويذهب إلى مقابلة وملاقاة الوفود ومن يقدم.

ولا يجوز للداعية أن يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به؛ لأن من حق كل إنسان أن يُدعى.

وإذا كان من حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى ولا يستهان به، ولا يستصغر من شأنه فعليه أن يستجيب.

وينبغي للداعية أن يعلم أن المدعوين أصناف وأقسام:

فمنهم الملحد، ومنهم المشرك الوثني، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم المنافق، ومنهم المسلم الذي يحتاج إلى التربية والتعليم، ومنهم المسلم العاصي. ثم هم أيضاً يختلفون في قدراتهم العقلية، والعلمية، والصحية، ومراكزهم الاجتماعية: فهذا مثقف، وهذا أمّيٌ، وهذا رئيس، وهذا مرؤوس، وهذا غني، وهذا فقير، وهذا صحيح، وهذا مريض، وهذا عربي، وهذا أعجمي... فينبغي للداعية أن يكون كالطبيب الحاذق الحكيم الذي يشخص المرض، ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه، مراعياً في ذلك قوة المريض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو

يقطع شيئاً من أعضائه من أجل استئصال المرض طلباً لصحة المريض[1].

والداعية ينبغي له أن يبدأ مع المدعوِّين بخطوات محسوسة[2]، منها ما يأتي:

١-يبدأ بنفسه فيصلحها حتى يكون القدوة الصالحة.

٢-ثم يمضي إلى تكوين بيته وإصلاح أسرته، ليُكوِّن البيت المسلم، واللبنة المؤمنة.

٣-ثم يتوجه إلى المجتمع وينشر دعوة الخير فيه، ويحارب الرذائل والمنكرات بالحكمة، ويشجع الفضائل ومكارم الأخلاق.

٤-ثم دعوة غير المسلمين إلى منهج الحق وإلى شريعة الإسلام ﴿**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للَّهِ**﴾[3].

المسلك الرابع: أساليب الدعوة ووسائل تبليغها:

الداعية يحتاج إلى فهم أساليب الدعوة ووسائل تبليغها، حتى يكون على قدر من الكفاءة لتبليغ الدعوة إلى اللَّه تعالى بإحكام وإتقان وبصيرة، وذلك كالآتي:

---

(١) انظر: أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٣٦٥-٣٩٤.

(٢) وقد أوضحت كيفية دعوة المدعوين على اختلاف أصنافهم في الفصل الثالث والفصل الرابع من كتاب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص٣٣٣، و٣١٥.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله، للدكتور توفيق الواعي، ص٨٤.

أولاً: أساليب الدعوة:

الأسلوب: الطريق والفن. يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة[1].

وأساليب الدعوة: هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه.

والمصادر الأساسية التي يستمد الداعية ويتعلم أساليب دعوته الحكيمة منها هي: كتاب **اللَّه** – تعالى –، وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح: من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان من أهل العلم والإيمان.

وتقوم أساليب الدعوة الحكيمة الناجحة المؤثرة على الأساليب الآتية:

١- **تشخيص وتحديد الداء في المدعوين، ومعرفة الدواء**: فإن طبيب الأبدان الحاذق الحكيم يشخص ويعرف الداء أولاً، ثم يصف ويُعيِّن العلاج ثانياً على حسب الداء. والداعية إلى **اللَّه** – تعالى – هو طبيب الأرواح والقلوب فعليه أن يسلك هذا الأسلوب في معالجة الأرواح. والداء عند الناس قد يكون كفراً، وقد يكون

---

(١) انظر: القاموس المحيط، فصل السين، باب الباء، ص١٢٥، والمصباح المنير، مادة «سلب»، ٢٤٨/١، والمعجم الوسيط، مادة «سلب»، ٤٤١/١.

معصية، فعلى الداعية أن يعطي الدواء على حسب الداء؛ فإن دواء الكفر الإيمان بالله، وبما جاء عنه وعن رسوله ﷺ. ودواء المعاصي كبائرها وصغائرها التوبة إلى الله – تعالى – والإقبال إليه، والإكثار من الطاعات المكفِّرة للسيئات، وهكذا لكل داء دواء.

٢- **إزالة الشبهات** التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والإحساس به: ولاشك أن الشبهات: هي ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعية وحقيقة ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له، أو تأخير هذه الاستجابة.

٣- **ترغيب المدعوين وتشويقهم**: إلى استعمال الدواء، والاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه. وترهيبهم من ترك الدواء بكل ما يخوف ويحذر من عدم الاستجابة، أو عدم الثبات على الحق بعد قبوله.

٤- **تعهد المستجيبين من المدعوين**: بالتربية والتعليم، والتوجيه؛ لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم. ومن أعظم وسائل التربية المؤثرة: الاتصال بكتاب الله – تعالى – تلاوةً، وتدبراً، وفهماً، والاتصال الدائم بالسنة النبوية، وسيرة السلف الصحابة ﷺ. فعلى الداعية أن يعين المستجيبين على هذه الأمور العظيمة.

٥- **تقوم جميع الأساليب** على: أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ثم استخدام القوة للمعاندين

الظالمين.

ثانياً: وسائل تبليغ الدعوة إلى اللَّه تعالى:

الوسيلة في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء[1]، ووسائل الدعوة هي: ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور.

ولاشك أن وسائل الدعوة على نوعين:

النوع الأول: وسائل خارجية تتعلق باتخاذ الأسباب لتهيئة المجال المناسب. ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

أ- الحذر المبني على التوكل على اللَّه – تعالى – مع الأخذ بالأسباب. ومعلوم أن الحذر أنواع من جهة ما يحذره الداعي المسلم، فهناك: حذره من الوقوع في المعاصي، والحذر من الأهل والولد، والحذر من اتباع الهوى، والحذر من المنافقين والكفار.

ب- الاستعانة بعد اللَّه – تعالى – بالغير في تبليغ الدعوة، فالداعية يحرص على إيصال الدعوة إلى الناس؛ فيستعين بكل وسيلة مشروعة لتحقيق ما يحرص عليه.

ج- المحافظة على النظام المشروع: كحفظ الداعية تنظيم وقته وعدم إضاعته، وإذا كان الدعاة جماعة فعليهم أن يراعوا قواعد النظام التي أمر بها الإسلام، حتى تثمر جهودهم ولا تضيع؛ فإن

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع السين، ١٨٥/٥.

القليل من العمل بنظام والدوام عليه خير من الكثير مع الفوضى والانقطاع.

النوع الثاني: وسائل تبليغ الدعوة بصورة مباشرة.

وهذه الوسائل تكون: بالقول، وبالعمل، وبسيرة الداعية التي تجعله قدوة حسنة لغيره، فتجذبهم إلى الإسلام. ومن هذه الوسائل ما يأتي:

أ- التبليغ بالقول:

القول في مجال التبليغ أنواع متعددة منها: الخطبة، والدرس، والمحاضرة، والندوة، والمناقشة والجدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلمة الوعظية، والدعوة الفردية، والنصيحة الأخوية، والفتوى الشرعية، والكتابة: كالرسالة، والمقال، والكتاب، والكُتيِّب، والنشرة.

والداعية يستعين في تبليغ دعوته بجميع الوسائل المختلفة، المشروعة، المفيدة، وقد تكون بعض الوسائل نافعة في زمن دون زمن، وفي مجتمع دون آخر، والداعية الحكيم هو الذي يختار الوسائل المناسبة لكل عصر ومصر.

ووسيلة التبليغ بالقول تُبلَّغ عن طريق الوسائل الآتية:

١-اللقاءات العامة: كإقامة المحاضرات، والندوات، والمناقشات، والدروس في المساجد، والجامعات، والمعاهد، والمدارس، والمؤتمرات، وفي المناسبات التي يحضرها الناس بصورة

جماعية كبيرة.

٢-اللقاءات الخاصة: كالدروس الخاصة بطلاب العلم، ولا يمنع حضور غيرهم.

٣-الدعوة الفردية: بالنصيحة الأخوية، والهدية الرمزية.

٤-الكتابة: الرسالة، والمقال، والكتاب، والكُتيِّب، والنشرة.

٥-وسائل الإعلام الحديثة: المسموعة، والمرئية، والمقروءة، والشخصية.

٦-الوسائل الشخصية كالمسجلات، وشرائط التسجيل، والهاتف... فينبغي للداعية الحكيم أن يستغل هذه الوسائل ويشغلها بالحق؛ لأنه بذلك يخاطب ملايين البشر في مشارق الأرض ومغاربها، وعن طريقها تصل الدعوة إلى أقطار بعيدة وتعمّ أماكن كثيرة.

وينبغي أن يكون قول الداعية واضحاً بيّناً، خالياً من الألفاظ التي تحمل حقّاً وباطلاً وخطأً وصواباً، وأن يستعمل الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين.

كما ينبغي للداعية أن يتأنَّى في كلامه حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه، وأن يبتعد عن التفاصح والتعاظم، والتكلف في النطق، ويبتعد عن روح الاستعلاء على المدعو واحتقاره وإظهار فضله عليه، وأن يتلطَّف بالقول للمدعوين، ويكون موضع الثقة بين

obeikandl.com

الناس[1].

ب- التبليغ بالعمل:

والتبليغ بالعمل هو كل فعل يؤدي إلى إزالة المنكر ونصرة الحق وإظهاره، والأصل في ذلك قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2]، والتبليغ بالعمل كما يكون بإزالة المنكر يكون بإقامة المعروف: كبناء المساجد، وبناء الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية، وإقامة المكتبات فيها وتزويدها بالكتب النافعة، وبناء المستشفيات الإسلامية، ودور الرعاية الاجتماعية، وطبع الكتب الإسلامية وتوزيعها، واختيار الرجل الصالح للعمل في هذه المجالات وفي المجالات المهمة. هذا – كله – في الحقيقة دعوة صامتة إلى الله تعالى.

ج- التبليغ بالسيرة الحسنة:

من وسائل التبليغ المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام التبليغ بالسيرة الطيبة للداعي، وأفعاله الحميدة، وصفاته العالية، وأخلاقه الكريمة والتزامه بالإسلام ظاهراً وباطناً، مما يجعله قدوةً طيبةً وأُسوةً حسنةً لغيره؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ

---

(١) انظر: أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٤٥٣ و٤٥٤، والدعوة إلى الله تعالى للدكتور/ توفيق الواعي، ص٢٦٢ و٢٦٤.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٦٩/١، (رقم ٤٩).

من التأثير بالكلام وحده.

وأصول السيرة الحسنة التي يكون بها الداعية قدوةً طيبةً لغيره ترجع إلى أصلين عظيمين: **حسن الخلق، وموافقة العمل للقول**.

● فحسن الخلق كلمة يندرج تحتها كثير من الصفات: كالتواضع، والوفاء بالعهد، والأمانة، وقوة العزيمة، والشجاعة، والصبر، والشكر، والحلم، والرفق، والتقوى، والحياء، والعفو والصفح، والجود والكرم، والصدق والعدل، وحفظ اللسان، والرحمة.

● وموافقة القول للعمل هي أن يكون فعل الداعية موافقاً للطريق المستقيم، وسيرته تطبيقاً عمليّاً لقوله، ولا يخالف ظاهره باطنه، فإن أمر بشيء التزمه، وإن نهى عن شيء كان أول تاركٍ له؛ ليفيد وعظه، وينفع إرشاده ويثمر، ويُقتدى به، فإن كان يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر وهو واقع فيه فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة ووسائل تبليغها بالتفصيل في: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص٣٩٥-٤٦٩، والدعوة إلى الله لتوفيق الواعي، ص٢٤١-٣٧٢.

obeikandi.com